

تفسير البحر المحيط

@ 373 إنعاماً سادساً ، وذكر في كونه إنعاماً وجوهاً : منها ما يتعلق بغير بني إسرائيل ، ومنها ما يتعلق بهم ، والمقصود ذكر ما يتعلق بكون ذلك إنعاماً ، وهو أن إحياءهم لأن يتوبوا عن التعتت ، ولأن يتخلصوا من أليم العقاب ويفوزوا بجزيل الثواب من أعظم النعم ، ولا تدل هذه الآية على أن قولهم هذا بعد أن كلف عبدة العجل بالقتل ولا قبله . وقد قيل بكل من القولين ، لأن هذه الجمل معطوفة بالواو ، والواو لا تدل بوضعها على الترتيب الزمني . قال بعضهم : لما أحلهم الله محل مناجاته ، وأسمعهم لذيذ خطابه ، اشربت نفوسهم للفخر وعلو المنزلة ، فعاملهم الله بنقيض ما حصل في أنفسهم بالصعقة التي هي خضوع وتذلل تأديباً لهم وعبرة لغيرهم ، { إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ } . .

{ ثُمَّ بَعَثْنَاكَ مِنْ مَّنْ بَعَدِ مَوْتِكَ } : معطوف على قوله : { فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ } ، ودل العطف بثم على أن بين أخذ الصاعقة والبعث زماناً تتصور فيه المهلة والتأخير ، هو زمان ما نشأ عن الصاعقة من الموت ، أو الغشي على الخلق الذي مرّ . والبعث هنا : الإحياء ، ذكر أنهم لما ماتوا لم يزل موسى يناشد ربه في إحيائهم ويقول : يا رب إن بني إسرائيل يقولون قتلنا حتى أحيائهم الله جميعاً رجلاً بعد رجل ، ينظر بعضهم إلى بعض كيف يحيون . وقيل : معنى البعث الإرسال ، أي أرسلناكم . روي أنه لما أحيائهم الله سألوا أن يبعثهم أنبياء فبعثهم أنبياء . وقيل : معنى البعث : الإفاقة من الغشية ، ويتخرج على قول من قال إنهم صعقوا ولم يموتوا . وقيل : البعث هنا : القيام بسرعة من مصارعهم ، ومنه قالوا : { قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَن بَعَثَنَا مِن مَّرْثَدِنَا } ؟ وقيل معنى البعث هنا ، التعليم ، أي ثم علمناكم من بعد جهلكم ، والموت هنا ظاهرة مفارقة الروح الجسد ، وهذا هو الحقيقة ، وكان إحيائهم لأجل استيفاء أعمارهم . ومن قال : كان ذلك غشياً وهموداً كان الموت مجازاً ، قال تعالى : { وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ } ، والذي أتاه مقدّماته سميت موتاً على سبيل المجاز ، قال الشاعر : % (وقل لهم بادروا بالعدر والتمسوا % . قولاً يبرئكم إنني أنا الموت . %) .

جعل نفسه الموت لما كان سبباً للموت ، وكذلك إذا حمل الموت على الجهل كان مجازاً ، وقد كنى عن العلم بالحياة ، وعن الجهل بالموت . قال تعالى : { أَوَلَمْ يَكُنْ مَيِّتًا

فَأَـحْيَيْـيَنـدَاهُ } ، وقال الشافعي ، رحمه الله : .

إنما النفس كالزجاجة والعلم سراج وحكمة الله زيت % (فإذا أبصرت فإنك حي % .
وإذا أظلمت فإنك ميت .
%) .

وقال ابن السيد : % (أخو العلم حي خالد بعد موته % .
وأوصاله تحت التراب رميمودو الجهل ميت وهو ماش على الثرى .
يظنّ من الأحياء وهو عديم .
%) .

ولا يدخل موسى على نبينا وعليه السلام في خطاب ثم { بَعَثْنَاكُمْ } ، لأنه خطاب مشافهة
للذين قالوا : { لَنْ نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّاهُ جَهْرَةً } ، ولقوله : {
فَلَمْ يَأْتِ أَفَاقَ } ، ولا يستعمل هذا في الموت . وأخطأ ابن قتيبة في زعمه أن موسى قد
مات { لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ } : وفي متعلق الشكر أقوال ينبني أكثرها على المراد
بالبعث والموت . فمن زعم أنهما حقيقة قال : المعنى لعلكم تشكرون نعمته بالإحياء بعد
الموت ، أو على هذه النعمة وسائر نعمه التي أسداها إليهم ، ومن جعل ذلك مجازاً عن
إرسالهم أنبياء ، أو إثارتهم من الغشي ، أو تعليمهم بعد الجهل ، جعل متعلق الشكر أحد
هذه المجازات . وقد أبعد من جعل متعلق الشكر إنزال التوراة التي فيها ذكر توبته عليهم
وتفصيل شرائعه ، بعد أن لم يكن شرائع . وقيل : المعنى لعلكم تشكرون نعمة الله بعدما
كفرتموها إذا رأيتم بأس الله في رميكم بالصاعقة وإذا قتلتم الموت . وقال في المنتخب : إنما
بعثهم بعد الموت في دار الدنيا ليكلفهم وليتمكنوا من الإيمان ومن تلافى ما صدر عنهم من
الجرائم . أمّا أنه كلفهم ، فلقوله : { لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ } . ولفظ الشكر